ردمد: ١٦٥٢-٧١٨٩ ردمد (النشر الإلكتروني): ١٦٥٢-٧٤٧٢ المجلد (١١) العدد (٤٤) ... يوليو ... سبتمبر ٢٠٢٥م

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية - علمية - محكمة

مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة
للعلوم الإنسانية

المجلد الحادي عشر العدد الرابع والأربعون... يوليو- سبتمبر ٢٠٢٥ م ردمد: ١٦٥٢-٧١٨٩ ردمد (النشر الإلكتروني): ١٦٥٢-٧٤٧٢

المحتويات

التعريف بالمجلة .....(متوفر بصفحة المجلة بموقع الجامعة)

الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية .....(متوفر بصفحة المجلة بموقع الجامعة)

المحتويات.....(متوفر بصفحة المجلة بموقع الجامعة)

موقف الإباضية من عثمان بن عفان ﷺ..... ١

أ.د. صالح بن درباش بن موسى الزهراني

مصطلح أهل الكتاب في القرآن الكريم، أهميته، وخصائصه، ومضامينه..... ٢٨

د. موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي

مسؤولية التاجر عن سلامة المنتج في ضوء نظام سلامة المنتجات السعودي: دراسة تحليلية..... ٥٦

د. أحمد عبدالله سفران

الزمن في الفيزياء الحديثةِ وعلاقتُه بمفهوم الأزليَّةِ والأبديَّةِ في العقيدةِ الإسلامية: دراسة عقدية مقارنة..... ٨١

د. عبدالرحمن بن علي أحمد الزهراني

أثر العقيدة في بناء الشخصية المسلمة..... ١١٦

د. عمر محمد العمر

الخوف من الذكاء الاصطناعي وعلاقته بالتكنوفوبيا لدى طلاب الجامعة..... ١٤٣

د. محمد حسن يحيى الزبيدى

درجة استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تدريس مهارة الاستماع بمقرر اللغة الإنجليزية لدى معلمات المرحلة الثانوية..... ١٦٦

د. إيمان طارق صالح ريس

درجة تحقق متطلبات الاقتصاد المعرفي في تعليم اللغة العربية من وجهة نظر معلمي ومعلمات المرحلة الثانوية بمنطقة الباحة..... ٢٠١

د. رانيه بنت فواز اللهيبي

إدمان الهواتف الذكية وعلاقته بالتسويف الأكاديمي لدى عينة من طلبة كلية التربية بجامعة الباحة..... ٢٣٩

د. محمد بن أحمد حسن الشّرفي

فاعلية أدوات التعلم التشاركي في تنمية الاندماج والتحصيل الأكاديمي في بيئات التعلم الإلكتروني بجامعة الباحة..... ٢٧٤

د. خالد غانم حمدان الشهري

استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي وعلاقته بالتفكير الناقد لدى عينة من طلبة جامعة الباحة..... ٣٣٣

د. جيهان جمال عبدالرحمن العمير

رؤية أليكسي جورافسكي لموقف الكنيسة الكاثوليكيَّة من الحوار الإسلامي النصراني: قراءة تحليليَّة نقديَّة..... ٣٧١

د. أحمد إبراهيم محمد سامه عسيري

استخدام التكنولوجيا وتأثيرها على مهارات الكتابة اليدوية: دراسة استكشافية بين طلاب البكالوريوس السعوديين الذين يدرسون اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية..... ٣٩٥

Technology Use and Its Influence on Handwriting Skills: An Exploratory Study among Saudi EFL Undergraduate Students.....

د. أحمد إبراهيم السلامي د. عبدالعزيز محمد

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الباحة

وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية

تصدر عن جامعة الباحة

مجلة دورية ـ علمية ـ محكمة

الرؤية: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية وتسهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.

الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البحثي لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

رئيس هيئة التحرير:

أ.د. محمد بن حسن الشهري

أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

نائب رئيس هيئة التحرير

د. أحمد بن محمد الفقيه الزهراني

أستاذ مشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة.

هيئة التحرير:

د. عبدالله بن زاهر الثقفي

أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة

د. محمد بن عبيدالله الشبيتي

أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة

د. سعيد بن محمد جمعان الهدية

أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة

د. سعيد بن صالح المنتشري

أستاذ مشارك بكلية التربية بجامعة الباحة

د. محمد بن عبد الكريم علي عطية

أستاذ مشارك بكلية التربية جامعة الباحة

ردمد النشر الورقي: ١٦٥٢ ـ ٧١٨٩

ردمد النشر الإلكتروني: ١٦٥٨ ـ ٧٤٧٢

رقم الإيداع: ١٤٣٨ ـ ١٩٦٣

ص.ب: ١٩٨٨

هاتف: ٠٠٩٦٦ ١٧ ٧٢٥٠٣٤١ / ٠٠٩٦٦ ١٧ ٧٢٧٤١١١

تحويلة: ١٣١٤

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa

الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مصطلح أهل الكتاب في القرآن الكريم، أهميته، وخصائصه، ومضامينه

د. موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك

النشر: المجلد (١١)، العدد (٤٤)

الملخص:

تميَّز القرآن الكريم بتوجيه الخطاب إلى أصنافٍ عديدة من أهل الأديان، وكان من أهمها: الخطاب الموجه إلى اليهود والنصارى الذين أطلق عليهم القرآن وصف أهل الكتاب. وقد جاء هذا البحث لمعالجة هذا الموضوع، واشتمل البحث على بيان أهمية الخطاب إلى أهل الكتاب، والمراد بهذا المصطلح، وأهميته، ومضامينه، وجاء تحت أربعة مباحث: الأول: أهمية الخطاب إلى أهل الكتاب، والمراد به، وخصائصه. والثاني: المضامين العقدية في خطاب القرآن لأهل الكتاب. والثالث: المضامين العملية والسلوكية، والرابع: المضامين الإيمانية والدعوية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي، ثم ختم البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع والموضوعات، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ظهر للباحث أن الخطاب القرآني اعتنى بأهل الكتاب أكثر من سائر أهل الأديان، وتميَّز الخطاب القرآني لأهل الكتاب بخصائص عديدة تميزه عن غيره من ألوان الخطاب، وتميَّز الخطاب القرآني لأهل الكتاب بمضمون شامل ومتكامل يدور بين جوانب العقيدة، والعمل والسلوك، والإيمان والدعوة، مما يشكل وحدة موضوعية متكاملة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ القرآني؛ أهل الكتاب؛ المضامين؛ الخصائص.

The term People of the Book in the Holy Quran, its importance, significance, characteristics, and contents

Dr. Musa bin Aqili bin Ahmed Al-Shaikhi

Associate Professor, Department of Islamic Studies

Faculty of Education and Arts, Tabuk University

drmusa1391@gmail.com

Published: Vol. (11) Issue (44)

Abstract:

The Holy Quran was distinguished by addressing the discourse to many categories of people of religions, the most important of which was: the discourse directed to the Jews and Christians, whom the Quran called the People of the Book. This research came to address this topic, The research included a statement of the importance of addressing the People of the Book, the significance of this term, its importance, and its contents, and came under four topics: First: The importance of addressing the People of the Book, its significance, and characteristics. Second: Doctrinal contents in the Quran's discourse to the People of the Book. Third: Practical and behavioral contents, and fourth: Faith and advocacy contents, The researcher used the descriptive, inductive, and analytical approach, then concluded the research with a conclusion that included the most important results and recommendations, and an index of references and topics, Among the most important results reached by the research: The researcher saw the importance that the Quran gave to addressing the People of the Book, The Qur'anic discourse to the People of the Book is distinguished by many characteristics that distinguish it from other types of discourse, The Qur'anic discourse to the People of the Book is distinguished by an important content that revolves between the aspects of belief, action and behavior, faith and advocacy, which forms an integrated thematic unit.

Keywords: Discourse, Qur'anic, People of the Book, Contents, Characteristics.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل لإقامة حجته، وأنزل الكتب لاستبانة محجته، ومعرفة أمره ونهيه، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبرسالته تمت النعمة، وأقيمت الحجة، ورُفعت الجهالة، وانقطع العذر، وخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن الشقاء إلى السعادة، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فقد كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وكان ممن شملتهم دعوته اليهود والنصارى الذين ميَّزهم الله تعالى على سائر المشركين؛ فلَّقبهم ب "أهل الكتاب" دون غيرهم، ونسبهم إلى العلم، ووصف غيرهم بأنهم "لا يعلمون"، وما ذلك إلا بسبب بقايا آثار الأنبياء فيهم، رغم ما أصابها من التحريف والتبديل.

ولما وجد الباحث عناية القرآن بخطابهم أكثر من عنايته بخطاب غيرهم دفعه ذلك إلى دراسة هذا الموضوع، رغبة في استبانة معالمه، واكتشاف مضامينه، واختار أن تكون الدراسة عن مصطلح "أهل الكتاب"، وأن تكون في إطار الخطاب القرآني لهم من خلال الآيات التي ورد فيها لفظ "أهل الكتاب" دون غيره من الألفاظ، لتشكل وحدة موضوعية تضاف إلى الدراسات الكتابية المتعلقة بالقرآن الكريم، واختار أن يكون عنوان هذا البحث: (مصطلح أهل الكتاب في القرآن الكريم أهميته، وخصائصه، ومضامينه).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية الموضوع: تظهر أهمية الموضوع من خلال اهتمام القرآن بخطاب أهل الكتاب أكثر من اهتمامه بغيرهم، وكثرة الآيات الواردة في شأنهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١. الرغبة العلمية في دراسة مواضيع كتابية في إطار القرآن الكريم، لتكون إضافة إلى الدراسات القرآنية، ليستفيد منها الباحثون، والمهتمون بدعوة أهل الكتاب.
٢. الوصول إلى الخطاب الأمثل في دعوة أهل الكتاب في الوقت الحاضر من خلال البناء على الخطاب القرآني لهم.
٣. الحاجة الملحة لمخاطبة أهل الكتاب في الوقت الحاضر، دعوة لهم، ورداً على شبهاتهم ضد الإسلام، لاسيما مع كثرة صور الاتصال بهم، في ظل انتشار وسائل الاتصال، ومواقع التواصل الاجتماعي.

أهداف البحث:

١. معرفة أهمية الخطاب القرآني لأهل الكتاب.
٢. تحليل مضامين الخطاب القرآني لأهل الكتاب.

٣. استنباط خصائص الخطاب القرآني لأهل الكتاب.

أسئلة البحث:

١. ما أهمية الخطاب القرآني لأهل الكتاب؟.

٢. ما هي خصائص الخطاب القرآني لأهل الكتاب؟.

٣. ما هي مضامين الخطاب القرآني لأهل الكتاب؟.

٤. ما المراد بمصطلح أهل الكتاب؟.

الدراسات السابقة:

لم أجد – بحسب البحث- دراسة مستقلة ومستوعبة لجميع الآيات الواردة في خطاب أهل الكتاب، ولكن وجدت دراستين لهما تعلق بموضوع الدراسة، وهما:

١. دراسة بعنوان: الأبعاد العقدية في نداءات القرآن الكريم لأهل الكتاب. للدكتور: ماجد محمد علي أحمد شبالة.

٢. دراسة بعنوان: الدلائل الدعوية في نداءات الله تعالى لأهل الكتاب في القرآن الكريم، دراسة عقدية. للدكتور: خيري عبدالفتاح حبيب عبدالعزيز.

وتختلف دراسة الباحث عنهما في ثلاثة أمور رئيسة:

الأول: من حيث مجال الدراسة: الدراستان السابقتان اقتصرت على الآيات المصدرة بالنداء "يا أهل الكتاب" فقط، وعددها اثنا عشر آية، بينما اشتمل البحث على جميع الآيات التي ورد فيها لفظ "أهل الكتاب"، وعددها إحدى وثلاثون آية.

الثاني: من حيث المنهج: حيث وضعت الدراستان السابقتان المضامين تحت مطالب البحث دون تصنيفها إلى أقسام وأنواع، بينما جاء في البحث تقسيم للمضامين إلى أنواع، ثم تقسيم المضامين تحت كل نوع، ودراسة جميع الآيات حسب المضمون الذي ترد تحته.

الثالث: من حيث الشمول: ركزت الدراسة الأولى على المضامين العقدية، والثانية على الدلائل الدعوية، وقام الباحث بدراسة جميع المضامين من خلال استعراض جميع الآيات الواردة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة موضوع البحث والمنهج المتبع فيه إلى تقسيمه إلى:

المقدمة: وتتضمن فكرة الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، وبيان المنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة له.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بمفردات العنوان، ويشتمل على مطلبين: الأول: بيان المراد بأهل الكتاب، والثاني: التعريف بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: أهمية الخطاب القرآني لأهل الكتاب، وخصائص مصطلح أهل الكتاب. ويشمل مطلبين. الأول: أهمية الخطاب القرآني لأهل الكتاب وخصائصه. والثاني: المراد بمصطلح أهل الكتاب.

المبحث الثاني: المضامين العقدية للخطاب القرآني لأهل الكتاب. ويشتمل على مطلبين. الأول: الأمر بعبادة الله تعالى وحده والنهي عن الشرك. والثاني: النهي عن الغلو.

المبحث الثالث: المضامين العملية للخطاب القرآني لأهل الكتاب. ويشمل ثلاثة مطالب. الأول: الأقوال والأفعال المنكرة. والثاني: بعض أحوال أهل الكتاب، ومواقفهم، وأخلاقهم. والثالث: بعض الأحكام المتعلقة بأهل الكتاب.

المبحث الرابع: المضامين الإيمانية والدعوية في الخطاب القرآني لأهل الكتاب. ويشتمل على مبحثين. الأول: بيان فضل الله تعالى على أهل الكتاب ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: دعوة أهل الكتاب خاصة إلى الإيمان بالله تعالى.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

وقد وضع الباحث قائمة بمراجع البحث، وموضوعاته.

منهج البحث وخطواته:

منهج البحث:

استخدم الباحث عددا من المناهج لتحقيق أغراض البحث، كما يأتي: المنهج الاستقرائي، لجمع الآيات الواردة في البحث، المنهج الوصفي، لوصف المضامين التي اشتمل عليها، والتحليلي، لتحليل هذه المضامين واستنباط خصائص الخطاب القرآني.

وأما خطوات البحث، فهي كما يأتي:

١- جمع الآيات القرآنية التي تندرج تحت موضوع البحث. ووضع الآيات القرآنية في المتن، مع كتابة اسم السورة، ورقم الآية.

٢- تصنيف المضامين التي اشتمل عليها الخطاب القرآني، وهي مضامين عامة إلى أنواع رئيسة.

٣- وضع المضامين التفصيلية تحت كل نوع من الأنواع الرئيسة.

٤- استعراض جميع الآيات الواردة تحت المضمون، وبيان معناها بما يتناسب مع المضمون، بالرجوع إلى المصادر المعتمدة في التفسير، دون التركيز على استقصاء وجمع أقوال المفسرين في الآية.

٥- توثيق النصوص يكون في الحاشية بذكر اسم الكتاب، والمؤلف، ورقم الصفحة.

التمهيد: التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: بيان المراد بأهل الكتاب

أهل الكتاب في اللغة: الأهل لقب يدل على الاختصاص بالشيء. قال الخليل: أهل الرجل: أخص الناس به، وأهل البيت: سكّانه، وأهل الإسلام: من يدينون به(١).

والكتاب: مصدر كتب يكتب، ويدل على جمع شيء إلى شيء، ثم أُطلق على المكتوب. ويطلق الكتاب على المنزل وعلى ما يكتبه الشخص ويرسله(٢).

أهل الكتاب في الاصطلاح :

المراد بمصطلح أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وهو قول جمهور الفقهاء. قال ابن قدامة: «أهل الكتاب اليهود والنصارى، ومن دان بدينهم بدليل قوله تعالى: {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} [الأنعام: ١٥٦]»(٣). وبهذا القول قال المفسرون أيضاً. قال ابن جرير – رحمه الله – «قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ} [آل عمران: ٦٤] الآية: وإنما قلنا عني بقوله {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ} أهل الكتابين لأنهما جميعًا من أهل الكتاب، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: "يا أهل الكتاب" بعضًا دون بعض.. واسم "أهل الكتاب"، يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلومًا بذلك أنه عني به الفريقان جميعًا»(٤). وقال ابن كثير – رحمه الله – عند تفسير الآية السابقة: «هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم»(٥).

ومما سبق يتضح أن مصطلح أهل الكتاب يراد به اليهود والنصارى، وأن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل.

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم

تعريف القرآن لغة: القُرآنُ في الأصلِ مَصدَرٌ، يقالُ: قَرَأَ يَقْرَأُ قِراءةً وقُرْآنًا، ثمَّ أُطلِقَ على المقروءِ، وسُمِّي القُرآنُ قُرآنًا؛ لأنَّه يجمَعُ السُّوَرَ فيَضُمُّها، وكُلُّ شَيءٍ جَمَعْتَه فقد قرَأْتَه، وأصلُ (قرأ): يَدُلُّ على جَمعٍ واجْتِماعٍ(٦).

تعريف القرآن اصطلاحاً: القُرْآنُ الكريمُ هو اسمٌ لكلامِ اللهِ تعالى وكِتابِه، المنَزَّلُ على عَبدِه ورَسولِه مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بواسِطةِ جِبريلَ عليه السَّلامُ بلِسانٍ عَربِيٍّ مُبِينٍ، المنقولُ إلينا بالتواتُرِ، المكتوبُ في المصحَفِ، المتعَبَّدُ بتلاوتِه، المبدوءُ بسُورةِ الفاتحةِ، والمختومُ بسُورةِ النَّاسِ، والمعجِزُ بأقصَرِ سُوَرِه(٧).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (١٥٠/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (١٥٨/٥)، والمصباح المنير، للفيومي: (٢٧٠/١).

(٣) المغني: (٣٢٨/٩-٣٢٩).

(٤) جامع البيان: (٤٨٥/٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم: (٤٧/٢).

(٦) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: (٧٩/٥)، النهاية، لابن الاثير: (٣٠/٤).

(٧) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة: (١/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٢٩٨/٢).

المبحث الأول: أهمية الخطاب القرآني لأهل الكتاب وخصائص مصطلح أهل الكتاب

المطلب الأول: أهمية الخطاب القرآني لأهل الكتاب

المتأمل في الخطاب القرآني لأهل الديانات والملل يلحظ اهتماماً خاصاً بأهل الكتاب؛ حيث حيث إنه يميزهم بالنداء، ويخضهم بلقب "أهل الكتاب". وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة(١).

وقد ورد هذا المصطلح في تسع سور كما يأتي:

سورة البقرة: (مرتان)، آل عمران: (١٢ مرة)، النساء: (٤ مرات)، المائدة: (٦مرات)، العنكبوت: (مرة واحدة)، الأحزاب: (مرة واحدة)، الحديد: (مرة واحدة)، الحشر: (مرتان)، البينة: (مرتان).

وورد الحديث عن أهل الكتاب بألفاظ أخرى مثل: «الإيتاء» بتصرفاته المختلفة، و«الإرث»(٢).

وفي مقابل هذا العدد الكبير من الآيات لا يجد الباحث إلا إشارات قليلة في الخطاب القرآني لأصحاب الديانات الأخرى؛ فعلى سبيل المثال: أشار القرآن إلى الصابئة مرتين، وإلى المجوس مرة واحدة، وهذا يؤكد اهتمام القرآن بأهل الكتاب، وتوجيه خطاب متكامل خاصٍ بهم.

المطلب الثاني: خصائص مصطلح أهل الكتاب

ومن خلال النظر في مصطلح "أهل الكتاب" نجد أنه يحمل بعض الخصائص، ومنها:

١- لا يحمل في ذاته تزكية مطلقة لأهل الكتاب.

إن مجرد الوصف بأهل الكتاب لا يحمل تزكية في ذاته(٣)، وقد أخبر الله تعالى عن كثير من أقوال أهل الكتاب وأفعالهم المنكرة مع وصفهم بأنهم "أهل الكتاب" –كما سيأتي تفصيله–.

٢- فيه نوع من الاهتمام والتلطف بشأن المخاطب.

يقول الرازي –رحمه الله– عند قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤]: «وهذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب؛ حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، ونظيره ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله،... فإن هذا اللقب يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب، وفي تطييب

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، مادة: (يا أهل الكتاب)، دراسات كتابية، أ.د أحمد القاضي:(١١)

(٢) ينظر: دراسات كتابية: (١١).

(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

قلبه»[١]. وهذا الاهتمام والتلطف بأهل الكتاب «يراد منه بعثهم على قبول ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والاحتجاج عليهم به؛ لأن إيمانهم بكتابهم يقتضي الإيمان بما جاء في الكتاب المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم»[٢].

٣- فيه تمييز لأهله عن بقية المشركين

يتميز الخطاب القرآني لأهل الكتاب بنوع من الخصوصية؛ لأنهم أصحاب كتاب وغيرهم ليس عنده كتاب، ولأنهم أصحاب علم وغيرهم لا يعلمون. وآيات القرآن جاءت بالدعوة العامة في بعض المقامات، وبالدعوة الخاصة في مقامات أخرى، وأهل الكتاب كانت توجه لهم الدعوة الخاصة بمثل قوله تعالى: (يا أهل الكتاب)[٣].

٤- فيه جمع للمشترك بين اليهود والنصارى وهو الكتاب المنزل.

يشترك اليهود والنصارى في أن كتابيهما منزلان من عند الله. فالله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وهي الأصل، ثم أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، وهو المكمل لها، وقد مدح الله تعالى الكتابين ووصفها بأن فيهما الهدى والنور، وغيرها من الصفات الحميدة[٤].

ولا شك أن هذا المدح ينطبق على الكتاب المنزل من عند الله، وليس على الكتاب المحرف الذي لعبت به أيدي أهل الكتاب.

المبحث الثاني: المضامين العقدية في الخطاب القرآني لأهل الكتاب

المطلب الأول: الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن الشرك

أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من الشرك الذي وقعوا فيه، حيث عبد اليهود العجل، وزعموا أن عزيراً ابن الله، واتخذ النصارى المسيح بن مريم إلهاً من دون الله. وجاء هذا الأمر في قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤].

فالله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء، ومعنى الكلمة السواء: التي فيها عدل ونصف ويستوي فيها المؤمنون وأهل الكتاب[٥]. وقد جاء تفسيرها بقوله: {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}، وإنما وصفت بالسواء؛ لأن دعوة جميع الرسل قد اتفقت عليها، ولم يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب: (٧٦/٨).

(٢) في مجالس التفسير من كلام العليم الخبير، لابن باديس: (٣٢٨).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: (٣٢٧).

(٤) كما في سورة البقرة: الآيات: (٤٤-٤٦).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٤٧/٢).

(٦) ينظر تفسير النسفي: (١٦١/١)، المنار: (٢٦٨/٣).

يقول ابن كثير–رحمه الله– عند تفسير هذه الآية: «ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً لَا وَثَنًا ولا صليبا ولا صنما وَلَا طَاغُوتًا وَلَا نَارًا وَلَا شَيْئًا، بَلْ نُفْرِدُ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذِهِ دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]»[(١)].

فهذه الآية تدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء واتفاق مشترك «يتضمن ثلاث قضايا أساسية متلازمة: الأولى: توحيد الله بالعبادة. والثانية: نبذ الشرك بجميع صوره. والثالثة: ترك الغلو وتقديس الأشخاص[(٢)].

ومما يلفت النظر أن هذه الآية التي دعت إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك كانت أول خطاب لأهل الكتاب في القرآن، وأول خطاب في سورة آل عمران التي اشتملت على أكثر المواضع في خطاب أهل الكتاب. وهذا يدل على أهمية ما يتضمنه هذا الأصل، وأنه أساس الدين وعموده[(٣)]، ويدل على أنه «المشترك الذي يجب أن يؤمن به كل أتباع الرسل، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الآية أهل الكتاب إلى الإسلام، كما ثبت في كتبه إلى هرقل والمقوقس وغيرهما[(٤)].

المطلب الثاني: النهي عن الغلو

من أعظم الأسباب التي أوقعت أهل الكتاب في الشرك الغلو، لاسيما في الأشخاص، ولذلك ثنَّى الخطاب القرآني لأهل الكتاب بالحديث عن الغلو بعد التوحيد ونبذ الشرك، فقال تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} [آل عمران: ٦٤]. وقد جاء بيان غلو أهل الكتاب في الأشخاص في قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١].

يقول ابن جرير –رحمه الله– في تفسير الآية: «يقول جل ثناؤه: اتخذ اليهود أحبارهم، وهم العلماء...والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم (أرباباً من دون الله) يعني سادة لهم من دون الله فيطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرمه الله، ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم»[(٥)].

ولما كان الغلو أعظم أسباب الشرك حذر الله عز وجل أهل الكتاب منه أشد التحذير مستخدماً الخطاب الخاص بهم "يا أهل الكتاب"، وذلك في موضعين من القرآن.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٤٧/٢).

(٢) دراسات كتابية: (١٩٣).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٢٧٠/٣).

(٤) نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة، د. أحمد علي عجيبة: (١٧٩).

(٥) جامع البيان:(٢٠٩/١٤).

الأولى: قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ١٧١] [النساء:١٧١].

والثانية: قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧] [المائدة: ٧٧].

ففي الآية الأولى إشارة إلى الغلو الذي وقع في الطرفان اليهود الذين غلوا في القدح في عيسى عليه السلام حتى جعلوه ابن زنا، والنصارى الذين غلوا في تعظيمه حتى رفعوه إلى منزلة الألوهية. يقول القرطبي –رحمه الله– عند تفسير الآية: «وَيَعْنِي بِذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ غُلُوَّ الْيَهُودِ فِي عِيسَى حَتَّى قَذَفُوا مَرْيَمَ، وَغُلُوَّ النَّصَارَى فِيهِ حَتَّى جَعَلُوهُ رَبًّا، فَالْإِفْرَاطُ وَالتَّقْصِيرُ كُلُّهُ سَيِّئَةٌ وَكُفْر»[(١)]. ولا شك أن غلو النصارى أعظم؛ ولذلك أشارت الآية إلى معتقدهم الفاسد في عيسى عليه السلام الذي بلغ حد اعتقاد الألوهية فيه، بل وفي أتباعه، الذين اعتقد النصارى لهم العصمة.

يقول ابن كثير –رحمه الله–: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَنَقَلُوهُ مِنْ حَيِّزِ النُّبُوَّةِ، إِلَى أَنِ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَعْبُدُونَهُ كَمَا يَعْبُدُونَهُ. بَلْ قَدْ غَلَوْا فِي أَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِ، فَادَّعَوْا فِيهِمُ الْعِصْمَةَ، وَاتَّبَعُوهُمْ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ سَوَاءٌ كَانَ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا، أَوْ ضَلَالًا أَوْ رَشَادًا، أَوْ صَحِيحًا أَوْ كَذِبًا»[(٢)].

أما الآية الثانية فقد أشارت إلى سبب من أسباب الغلو وهو اتباع الأمم السابقة من الذين ضلوا وأضلوا كثيراً. وقد اختار بعض المفسرين، مثل الشوكاني والألوسي أن الخطاب في الآية يراد به أهل الكتاب الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن المراد بالقوم الذين ضلوا من قبل هم أسلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم[(٣)]. والذي يظهر أن معنى الذين ضلوا وأضلوا لا يقتصر على الأسلاف من اليهود والنصارى قبل البعثة، وأن المعنى أعم من ذلك فيشمل الأمم السابقة التي فشا فيها الغلو، وتأثر بهم اليهود والنصارى، مثل الديانات الهندية والمصرية القديمة، وغيرها[(٤)].

والمقصود: أن من أعظم مضامين الخطاب القرآني لأهل الكتاب التحذير من الغلو، وأن الآيتين السابقتين قد بينت هذا المضمون أحسن بيان، فقد دلت على ما يأتي:

١. التحذير الصريح لأهل الكتاب من الغلو.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن:٦/٢١).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (١/٤٢٤).

(٣) ينظر: فتح القدير: (٢/٦٥)، وروح المعاني: (٦/٢١٠)

(٤) ينظر: كتاب: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد طاهر التنير فقد فصل الحديث عن تأثر النصرانية بالديانات الوثنية السابقة).

٢. بيان أعظم غلو وقع فيه اليهود والنصارى، وهو الغلو في عيسى عليه السلام إفراطاً وتفريطاً.

٣. بيان المعتقد الصحيح في عيسى عليه السلام وأمه.

٤. بيان السبب الأعظم في الغلو وهو اتباع الأمم السابقة من أهل الغلو.

المبحث الثالث: المضامين العملية للخطاب القرآني لأهل الكتاب

المطلب الأول: الأقوال والأفعال المنكرة: كشف الخطاب القرآني لأهل الكتاب عن الأقوال والأفعال المنكرة التي صدرت عن أهل الكتاب، ومن خلال تتبع الآيات الواردة في هذا السياق ظهر للباحث سبعة من الأقوال والأفعال، يمكن تفصيل الحديث عنها فيما يأتي:

القسم الأول: الأقوال المنكرة:

أولا: سؤالهم إنزال كتاب من السماء على وجه التعجيز

أخبر الله عز وجل عن أهل الكتاب أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء؛ لكي يصدقوه ويؤمنوا بما جاء به. وقد ورد ذلك في قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: ١٥٣]. وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في المراد بذلك، ومنها:

١- أن تنزِّل كتاباً مكتوباً، كما جاء موسى عليه السلام بالتوراة.

٢- أن ينزل كتاباً خاصاً لهم.

٣- أن ينزل كتباً على رجال بأعيانهم بالأمر بتصديقه واتباعه. وهذه الأقوال ذكرها ابن جرير -رحمه الله[١].

٤- قيل: طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصعد إلى السماء، وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة، كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة، ذكر ذلك القرطبي -رحمه الله-[٢]. وهذه الأقوال متقاربة وتجتمع في أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً من السماء، ولم يكن مرادهم من ذلك طلب الإيمان والاهتداء، بل كان سؤالهم على وجه التعنت والعناد[٣].

والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال هم اليهود، نص على ذلك ابن عاشور -رحمه الله- في تفسيره[٤]. ومما يدل على أن السؤال كان من اليهود قوله بعدها: {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ}.

---

(١) جامع البيان: (٩/٣٥٦-٣٥٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٦/٦).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١١/٧٦)، الجامع لأحكام القرآن: (٦/٦).

(٤) التحرير والتنوير: (٤/٣٠٠).

ومن اللطائف في قوله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ} أن الله تعالى نسب السؤال إلى المخاطبين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع أن السائلين غيرهم؛ ليبين أنهم آخذين بمذهب أسلافهم ومتابعين لهديهم، وقد أشار إلى هذه اللطيفة البيضاوي –رحمه الله– في تفسيره(١). والمقصود أن أهل الكتاب – واليهود خاصة– سلكوا مسلك التعجيز لتبرير عدم إيمانهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: قولهم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يهودياً أو نصرانياً

من طرائق أهل الكتاب في رد الحق وإنكار دين الإسلام المجادلة وإلقاء الشبه على الحق، ومن أهم القضايا التي سجلها الخطاب القرآني في مجادلتهم للمسلمين مجادلتهم في شأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث احتج كل فريق منهم أنه منهم، وأنه كان يدين بديانتهم. وقد بين الله تعالى احتجاجهم بقوله: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٦٥ – ٦٨].

ومعنى الآية: «كيف يزعم اليهودي أنه منهم، واليهودي يزعم أن دينه إقامة التوراة، وكيف يزعم النصراني أنه منهم والنصراني يزعم أن دينه إقامة الإنجيل، والتوراة والإنجيل لم ينزلا إلا من بعده»(٢). ولما كانت نسبة الشخص إلى دين لم ينزل إلا من بعده مخالفة لبداهة العقل ونَّبههم الله بقوله: {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ليلفت انتباههم إلى سقوط هذه الحجة في العقل. ثم أردف ببيان سقوطها في الشرع بالنفي القاطع أن يكون إبراهيم عليه الصلاة والسلام يهودياً أو نصرانيا، بقوله: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا}، فلما اكتمل هدم هذه الحجة عقلاً وشرعاً، أردف ببيان المعتقد الصحيح في إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقال: {وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، ثم بين سبحانه الأتباع الحقيقيين لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهم المسلمون الذين اتبعوه على ملته، وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالحنيفية ملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وبهذا سقطت دعوى أهل الكتاب في انتساب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى اليهودية والنصرانية من جميع أركانها.

القسم الثاني: الأفعال المنكرة:

أولاً: الكفر بآيات الله تعالى

الكفر بآيات لله تعالى من أعظم الذنوب، وإذا كان عن علم كان أشد شناعة. وقد وبَّخ الله تعالى الكافرين من أهل الكتاب على كفرهم بآيات الله؛ لكونهم أصحاب علم وأتباع للأنبياء. جاء ذلك في موضعين:

(١) أنوار التنزيل: (٢/٢٧٥).

(٢) جامع البيان: (٦/٤٩٠).

الأول: قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} [آل عمران: ٧٠]. والثاني: قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ٩٨].

وفي الآية الأولى توبيخ وإنكار على أهل الكتاب الذين يكفرون بآيات الله التي شهدت بها كتبهم، ومن أعظمها الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مع كونهم يشهدون على صدقها، ويجدون اسم النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم، وقد توارت أخباره صلى الله عليه وسلم عندهم.

يقول ابن جرير–رحمه الله–: «وإنما هذا من الله عز وجل، توبيخٌ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوّته، وهم يجدونه في كتبهم، مع شَهادتهم أن ما في كتبهم حقٌّ، وأنه من عند الله»(١). وأما الآية الثانية فإنها تحمل –إضافة إلى الإنكار على أهل الكتاب على كفرهم– معنى آخر، وهو الوعيد الشديد على جحودهم وإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن كثير –رحمه الله– «وَقَدْ توعدهم الله على ذلك، وأخبر بِأَنَّهُ شَهِيدٌ عَلَى صَنِيعِهِمْ ذَلِكَ بِمَا خَالَفُوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تَعَالَى أَنَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، أَيْ وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون»(٢).

ثانيا: لبس الحق بالباطل مع كتمان الحق

لبس الحق بالباطل خلطه به، وذكر المفسرون صوراً من هذا اللبس، ومنها:

١– إظهار الإسلام وإبطان اليهودية والنصرانية، ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: ٧٢].

قال الرازي –رحمه الله– «اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل أردف ذلك بأن حكى عنهم نوعاً واحداً من أنواع تلبيساتهم وهو المذكور في هذه الآية»(٣).

والمراد بالطائفة الذين قالوا ذلك اليهود، وذكر القرطبي أنها نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما الذين قالوا للسفلة من قومهم آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخره فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم(٤).

وهذه الآية تدل على أنهم استخدموا النفاق مع المؤمنين للتلبيس عليهم في دينهم.

---

(١) جامع البيان: (٥٠٢/٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم:(٧٣/٢).

(٣) مفاتيح الغيب: (٨٣/٨).

(٤) جامع البيان (١١١/٤).

٢- لبس الحق الذي في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام بالباطل الذي كتبوه بأيديهم[١].

٣- ومن ذلك قولهم: إنَّ محمداً معترف بأن موسى عليه السلام حق، ثم إنَّ التوراة دالة على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ، وكل ذلك إلقاءً للشبهات[٢].

٤- ومن ذلك قولهم: «محمد نبي مبعوث إلى غيرنا»[٣]. وأما كتمان الحق فالمراد به ما ورد في كتبهم من الحق، وأعظم ما كتموه من ذلك ما ورد من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته[٤].

والخلاصة أن أهل الكتاب قد جمعوا في موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به بين مقامين: الغواية والضلالة، والإغواء والاضلال، كما أشار الرازي –رحمه الله– إلى ذلك[٥].

ثالثاً: الصد عن سبيل الله

أخبر القرآن عن إفساد أهل الكتاب لغيرهم بالصد عن سبيله. وقد ورد ذلك في قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ٩٩].

والصد معناه: الاضلال والصرف، وسبيل الله: طريقه الموصل إليه، وهو الإسلام. ويكون الصد بإلقاء الشبه والشكوك في قلوب الضعفة من المسلمين[٦].

وقد أخبر الله تعالى أن غاية أهل الكتاب من هذا الصد هو إرادة الإضلال عن الحق والزيغ عن الاستقامة للمسلين[٧]. ولذلك توعد الله أهل الكتاب على فعلهم المنكر، وأخبر أنه شهيد على صنيعهم، وأنه ليس بغافل عما يعلمون، وسيجزيهم على ذلك[٨].

رابعاً: النقمة على المؤمنين على إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم

من أعمال أهل الكتاب الشنيعة نقمتهم على المؤمنين بسبب إيمانهم بالله تعالى وما أنزل عليهم وعلى الأنبياء من قبل. وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩].

---

(١) المصدر السابق: (٦/٥٠٥).

(٢) مفاتيح الغيب: (٨/٨٢).

(٣) جامع البيان: (١/٥٦٨).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٦/٥٠٥).

(٥) مفاتيح الغيب (٨/٨٢).

(٦) مفاتيح الغيب: (٨/١٣٨).

(٧) جامع البيان: (٦/٥٤).

(٨) تفسير القرآن العظيم: (١/٤٧٥).

والنقمة هي الكراهية، والسخط، والإنكار[١] والمراد بأهل الكتاب اليهود خصوصاً، كما ذكر ابن عاشور[٢].

ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن جرير –رحمه الله– عن ابن عباس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفرٌ من يهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وعازر، وخالد، وزيد، وأزار بن أبي أزار، وأشْيَع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال: أومن بالله وَمَا أنزلَ إلينا وما أنزلَ إلى إبرَاهيمَ وإسماعيل وإسحاقَ ويعقوب والأسباط، ومَا أوتي مُوسى وعيسى وَمَا أوتي النبيون من رَبهم لا نُفرّق بين أحد منهم ونحن له مُسلمون. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى، ولا نؤمن بمن آمن به. فأنزل الله فيهم: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}[٣].

وهذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها، حيث أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب بأنهم يستهزؤن بالأذان والصلاة، كما قال تعالى: {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة: ٥٨].

ومعنى ذلك أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم اتخذوا دين الإسلام هزواً ولعباً، قال لهم: ما الذي تنقمون من هذا الدين، وما الذي تجدونه فيه مما يوجب اتخاذه هزواً ولعباً[٤]. وإيمان المؤمنين بالله ورسله ليس عيباً ولا مذمة، لأنه الحق الذي دلت عليه كتب أهل الكتاب التي يؤمنون بها.

المطلب الثاني: بعض أحوال أهل الكتاب، ومواقفهم، وأخلاقهم:

كشف الخطاب القرآني لأهل الكتاب بعضاً من أحوالهم، ومواقفهم، وأخلاقهم، وهي:

المسألة الأولى: بعض أحوال أهل الكتاب القلبية

كشف القرآن في خطابه لأهل الكتاب بعضاً من أحوالهم التي لا سبيل إلى معرفتها؛ لأنها من أعمال القلوب التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وهي:

أولاً: عدم مودة نزول الخير على المؤمنين:

يقول الله تعالى مخبراً عن أهل الكتاب: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة: ١٠٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٦/٢٣٤).

(٢) التحرير والتنوير: (٥/١٤١).

(٣) جامع البيان: (٢/٥٩٦).

(٤) مفاتيح الغيب: (١٢/٢٩)

وقد ذكر المفسرون، كابن جرير والرازي وغيرهم أن المراد بالخير الوحي والنبوة[١]. ويؤيده قوله بعدها: {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} أي: بنبوته ورسالته[٢]. وأما سبب هذه النقمة فهو راجع إلى الحسد الذي في قلوبهم؛ لأنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم[٣].

ثانياً: مودتهم لردة المؤمنين بعد إيمانهم

بلغ حسد أهل الكتاب محبة ردة المؤمنين، قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٠٩]. فأخبرت الآية عما انطوت عليه قلوبهم من محبتهم لردة المؤمنين، حسداً منهم بعد ظهور الحق، ومعرفة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد نص بعض المفسرين على أن الآية نزلت في اليهود[٤]. وذكر البغوي أنها نزلت في نفر من اليهود[٥]، وقيل: نزلت في يهود بأعيانهم، مثل كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر بن أخطب، والأولى حمل الآية على العموم لقوله: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} وهو صريح في كثرة العدد.

ثالثاً: مودة أهل الكتاب لضلال المؤمنين

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم يودون إضلال المؤمنين بصرفهم عن دينهم، وإيقاعهم في الكفر، فقال تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ٩٩]. جاء في تفسير الإضلال بأنه الصد عن الإسلام، والرجوع إلى الكفر، أو أنه بمعنى الإهلاك[٦]. والمعنيان متقاربان؛ لأن الإهلاك الذي غايته الكفر هو نتيجة للإضلال والصد عن دين الإسلام.

وأخبر عز وجل أن إضلالهم للمسلمين إنما يعود عليهم؛ لاستحقاقهم سخط الله وغضبه بسبب كفرهم، ولأن العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وإضلالهم[٧].

وذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة ومعاذاً رضي الله عنهما إلى اليهودية[٨].

المسألة الثانية: بعض المواقف المتعلقة بأهل الكتاب

(١) ينظر: جامع البيان: (٢/٤٧٠)، ومفاتيح الغيب: (٦/٤٩).

(٢) جامع البيان: (٢/٤٧٠).

(٣) مدارك التنزيل: (١/٨٠).

(٤) مدارك التنزيل: (١/٨١)، والجامع لأحكام القرآن: (٢/٧٠).

(٥) معالم التنزيل: (١/١٥٥).

(٦) جامع البيان: (٦/٥٠٠).

(٧) مدارك التنزيل (١/١٦٣).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل: (٢/٥١)، معالم التنزيل: (١/٤٥٥).

تحدث الخطاب القرآني عن بعض المواقف المتعلقة بأهل الكتاب، سواء كانت منهم أو معهم ومن خلال الدراسة تبين للباحث ثلاثة أنواع من المواقف: موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المشركين الذين حاربوه، وموقف المنافقين منهم، وموقف المسلمين منهم، وسيأتي تفصيلها فيما يأتي:

أولا: موقف أهل الكتاب من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المشركين الذين حاربوه

كشف الخطاب القرآني لأهل الكتاب عن حقيقة علاقتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وممن اجتمع عليه من أحزاب الكفر، وذلك ببيان موقف طائفتين من طوائف اليهود، وهم بنوا النظير، وبنوا قريظة.

موقف بني النضير: بنوا النضير طائفة من اليهود سكنوا في المدينة، وعندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إليها أعطاهم عهداً وذمة على ألا يقاتلهم ولا يقاتلونه، ولكنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبينه، فأحل الله تعالى بهم بأسه، وأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى أول الحشر. وفي شأنهم نزل صدر سورة الحشر، ونزل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} [الحشر: ٢، ٣].

وقد أخرجهم الله تعالى من ديارهم لأول الحشر، وذكر القرطبي –رحمه الله– عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هم أول من حشر من أهل الكتاب وأُخرج من دياره»(١).

وكان خروجهم أمراً عظيما لم يكن في حسبان المسلمين، ولا في حسبانهم؛ وذلك لعظم أمرهم ومنعتهم، وكانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم، ولكن الله تعالى أتاهم من حيث لم يحتسبوا، فخرجوا أذلة صاغرين بعد نقضهم العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

موقف بني قريظة يوم الأحزاب: عندما اجتمعت الأحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه انحازت إليهم طائفة من أهل الكتاب وهم يهود بني قريظة، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحالفوا مع قريش وغطفان على المسلمين، وفي شأنهم نزلت آيات من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

والمراد بأهل الكتاب في الآية يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد وظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخبر الله تعالى عما حل بهم من النكال ونزل من العقوبات، وهي:

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢/١٨).

١- أنزلهم الله من حصونهم المنيعة.

٢- قذف في قلوبهم الرعب.

٣- قُتل رجالهم، وسُبي النساء والذرية.

٤- وراثة أرضهم، وديارهم، وأموالهم.

والمقصود أن بني قريظة وهم طائفة من أهل الكتاب قد نقضوا العهد ووقفوا في صف المشركين ضد المسلمين.

ثانياً: موقف المنافقين من أهل الكتاب

لم يقتصر خطر المنافقين على إيذاء المسلين من الداخل، بل كان لهم دور خطير في التحالف مع أعداء المسلمين من أهل الكتاب؛ فقد تحالفوا مع يهود بني النضير، وآزروهم ضد المسلمين، وأمروهم بالثبات، ووعدوهم بالنصر، ولكن الله تعالى خيب ظنهم، ونزلت فيهم آيات تكشف أمرهم وتبين حقيقة دورهم، فقال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} [الحشر: ١١، ١٢].

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المنافقين هم عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه ومن كان منهم على أمرهم(١). وقد بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم فلم يفعلوا(٢).

والمقصود أن المنافقين وقفوا في صف إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ضد المسلمين؛ لاتحادهم في الكفر والعداء للإسلام وأهله.

الموقف الثالث: موقف المؤمنين من أهل الكتاب

لما كانت المجادلة إحدى الطرق الموصلة إلى معرفة الحق دعا الله تعالى المؤمنين إلى مجادلة أهل الكتاب، فقال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٦].

(١) جامع البيان: (٢٧٧/٢٣).

(٢) المصدر نفسه: (٢٧٧/٢٣).

وهذه الآية تقرر عدم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن. وأحسن ما قيل في معناها: الدعاء إلى الله بآياته وحججه(١).

ثم استثنى الله تعالى من المجادلة بالتي هي أحسن الذين ظلموا، وجاء في معنى الذين ظلموا أقوال ذكرها ابن جرير –رحمه الله–، ومنها: الذين قالوا مع الله إله ونحوها، وقيل: الذين أبوا دفع الجزية، وقيل: أهل الحرب، وقيل: الذين كفروا، ورجَّح أن المراد: الذين امتنعوا من أداء الزكاة(٢). والذي يظهر من سياق الآية أن مجادلة أهل الكتاب ليست الأصل في دعوتهم؛ لأنه لم يأت بالأمر بها، وإنما بالنهي عنها، ثم استثنى بعد ذلك، والأصل بيان الحق، والمجادلة لإظهار الحق وبيانه وسيلة إليه.

وقد ذكر العز بن عبدالسلام كلاماً نفيساً حول هذا المعنى، فقال: «لا يجوز الجدال والمناظرة إلا لإظهار الحث ونصرته»(٣). وقرر البقاعي –رحمه الله– بأن المراد بالمجادلة بالتي هي أحسن هو: «تلاوة الوحي الذي أمرنا رأس العابدين بإدامة تلاوته فقط»(٤).

وبهذا يتبين أن المقصود هو بيان الحق لأهل الكتاب ابتداءً، أو بالمجادلة إذا كانت وسيلة إليه.

المسألة الثالثة: بعض أخلاق أهل الكتاب

عند البحث عن الأخلاق في الخطاب القرآني لأهل التي تندرج تحت مصطلح «أهل الكتاب» نجد آية واحدة تحدثت عن خلق الأمانة عند بعضهم. قال تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧٥]. وذكر ابن جرير –رحمه الله– أن المراد بأهل الكتاب اليهود، وأن المراد بالآية أن من أهل الكتاب الأمين الذي يحفظ الأمانة ولو كانت كثيرة، وعبر عنها بالقنطار(٥)، ومنهم الخائن الذي يخون المال ولو كان قليلاً، ولا يؤديه إلا بالإلحاح عليه بالتقاضي والمطالبة(٦).

والذي يظهر للباحث أن تركيز الخطاب القرآني لأهل الكتاب على هذا الخلق دون غيره، وتفصيل حال أهل الكتاب فيه بين أمين وخائن يرجع إلى حاجة المؤمنين الكبيرة إلى معرفته؛ لكونهم يتعاملون مع بعض أهل الكتاب في

(١) ينظر: جامع البيان:(٢٠/٤٧)، الجامع لأحكام القرآن:(١٣/٣٥٠)، معالم التنزيل: (٣/٤٧٠).

(٢) جامع البيان: (٢٠/٤٦-٤٧).

(٣) مختصر قواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام، نقلاً عن الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي: (٣/١٩٣).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:(٥/٥٦١).

(٥) قيل: إنه ألف ومائتا أوقية، وقيل: ألف ومئتا دينار، ذكره ابن جرير عند تفسير قوله: (والقناطير المقنطرة) الآية ١٤ من سورة آل عمران).

(٦) جامع البيان:(٦/٥١٩).

المدينة، ولاسيما اليهود، فكان هذا الإخبار بمثابة التحذير للمؤمنين من أن يأتمنوهم على أموالهم، والتخويف من الاغترار بهم(١).

ثم لفتت الآية النظر إلى علة استحلالهم لأموال المسلمين، بأنهم يرونه أنه لا حرج عليهم فيما أصابوا منها؛ لأنهم على غير الحق، وأنهم مشركون، كما جاء عن قتادة –رحمه الله– قوله: «قالت اليهود: ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل»(٢).

وقد ذكر الرازي معنى نفيساً في علة ذلك، وأنه عائد إلى احتقارهم للعرب خاصة، واعتقادهم أنهم بمثابة العبيد، فلا حرج إذا أكلوا أموال عبيدهم(٣).

وهذا المعنى صحيح، وهو عائد إلى اعتقادهم بأنهم "شعب الله المختار"، ويدل عليه قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة: ١٨].

المطلب الثالث: بعض الأحكام المتعلقة بأهل الكتاب

تضمن الخطاب القرآني لأهل الكتاب بعض الأحكام المتعلقة بهم، وقد ظهر للباحث منها أربعة أحكام:

الحكم الأول: أن دخول الجنة ليس بالأماني، وإنما بالعمل الصالح مع الإيمان:

ورد هذا الحكم في قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

ذكر أهل التفسير عدة أقوال في المخاطبين بقوله: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} القول الأول: أن المراد تفاخر أهل الأديان كل أهل دين بدينه. والقول الثاني: المراد قريش والعرب قالت: لن نبعث ولن نعذب. والثالث: أنها في أهل الكتاب خاصة. ذكر هذه الأقوال ابن جرير، ورجَّح أن المراد: مشركي قريش(٤). والذي يظهر أن لفظ الآية يعم الكافر من أهل الكتاب ومن غيرهم، كما يشمل المؤمن. وقد ذكر القرطبي أن ذلك قول الجمهور، فقال: «وَقَالَ الْجُمْهُورُ: لَفْظُ الْآيَةِ عَامٌّ، وَالْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ مُجَازَى بِعَمَلِهِ السُّوءِ، فَأَمَّا مُجَازَاةُ الْكَافِرِ فالنار، لان كفره أوبقه، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَبِنَكَبَاتِ الدُّنْيَا، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(٥).

وأما المراد بالأماني فهي دخول الجنة، لقوله بعدها: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}. ويكون المعنى الإجمالي للآية: ليس دخول الجنة بأمانيكم أيها المسلمون

(١) ينظر: جامع البيان:(٥١٩/٦).

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (٩٠/٨).

(٤) جامع البيان: (٢٢٨/٩-٢٣٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٦/٥)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة وآداب، باب: ثواب المؤمن مما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، رقم: (٢٥٧٤).

ولا أماني أهل الكتاب. وقد أشار البيضاوي إلى هذا بقوله: «أي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح»[1]. وعلى ذلك فهذه الآية الكريمة تضمنت حكماً عظيماً للمسلمين ولأهل الكتاب، وهو أن دخول الجنة ليس بالأماني ولا بالادعاء دون الإيمان والعمل الصالح. وفي ذلك رد صريح على ادعاء كل فريق من أهل الكتاب بأنه لن يدخل الجنة إلا هو، وقد ذكر الله تعالى ادعاءهم، وحكم عليه بأنه مجرد أماني، في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ١١١]. ففي آية البقرة جعل ادعائهم مجرد أماني، وفي سورة آل عمران فند هذه الدعوى، وبين أن السبب في دخول الجنة ليس إلا الإيمان مع العمل الصالح.

الحكم الثاني: أن أهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل:

حكم الله تعالى على أهل الكتاب بأنهم ليسوا على شيء من الدين حتى يقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل من القرآن، فقال تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [المائدة: ٦٨] [المائدة: ٦٨]. وهذه الآية تقرر أن أهل الكتاب ليسوا على شيء من الدين، أو مما يدَّعون أنهم عليه مما جاء به موسى عليه السلام، أو جاء به عيسى عليه السلام حتى يقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، ومعنى تقيموا التوراة والإنجيل: تؤمنوا بجميع ما في أيديكم وتعملوا به، ومن أعظم إقامتها: الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، ولذلك قال: {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} أي: القرآن، فجعل الإيمان بالقرآن شرطاً لصحة إقامتهم للتوراة والإنجيل.

وقوله: {لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ} فيه تحقير لما هم عليه من الكفر، أي لستم على شيء يعتد به[2]. والمقصود: أن أهل الكتاب ليسوا على شيء يعتد به من الدين؛ لأنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل حق إقامتها، ولم يؤمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

الحكم الثالث: أن أهل الكتاب لم يكونوا ليتركوا الكفر الذي كانوا عليه حتى تأتيهم البينة:

قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة: ١]. وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في معنى الآية، منها: المعنى الأول: لم يكن الكفار من أهل الكتاب والمشركين منتهين عن

(١) أنوار التنزيل:٢/٢٥٧).

(٢) فتح القدير (٢/٩٠).

كفرهم، مائلين عنه إلى الحق إلا بعد مجيء البينة، وهي رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]. المعنى الثاني: لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث، فلما بعث حسدوه وجحدوه، وهي كقوله: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٨٩][٢].

والذي يظهر أن المعنى أن أهل الكتاب قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلال مبين، لم يكن ليزول إلا ببينة عظيمة تزهق الباطل، وتكشف الحق، وهي إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء ليبين للناس الحق، ويزيل عنهم الكفر والضلال، ولكن أهل الكتاب، وخاصة اليهود كفروا به وتفرقوا عنه بعد ما جاءهم العلم، ولذلك قال عنهم: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة: ٤].

الحكم الرابع: الحكم على أهل الكتاب بالخلود في النار إذا ماتوا على الكفر:

حكم الله تعالى على أهل الكتاب الذين كفروا به وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأن مصيرهم الخلود في النار، وأنهم شر الخلق، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٦]. فأخبر بأنهم شر الخلق وأن مصيرهم الخلود في النار مع سائر الكفرة بالله تعالى.

المبحث الرابع: المضامين الإيمانية والدعوية

المطلب الأول: فضل الله تعالى على أهل الكتاب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم

جاء الخطاب القرآني لأهل الكتاب متضمناً الإشارة إلى النعمة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ومبيناً بعض فضائله عليهم، وموقفه من كتبهم. وجاء ذلك في آيتين من سورة المائدة.

الآية الأولى: قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: ١٥]. وفي هذه الآية إشارة إلى أمرين عظيمين:

الأول: أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تشمل أهل الكتاب كما تشمل غيرهم، فهو رسول إلى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم، وأميهم وكتابيهم. وقد جاءت الإشارة إلى بعثته صلى الله عليه وسلم في سياق الخطاب الخاص بأهل الكتاب "يا أهل الكتاب"، وأُضيف المجيء إليهم في قوله: {قَدْ جَاءَكُمْ} مما يشعر بعظيم المنة عليهم ببعثته صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك رد صريح على من ادعى خصوصية رسالته للعرب.

الأمر الثاني: وصف النبي صلى الله عليه وسلم بوصفين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن:(١٤٢/٢٠).

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

الوصف الأول: أنه جاء مبيناً لأهل الكتاب كثيراً مما يخفون، وهذا يدل على أن أهل الكتاب أخفوا عن أتباعهم كثيراً مما في كتبهم وكتموه عنهم، وقد جاء هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كاشفا له، وفي ذلك أعظم الدلائل على نبوته.

ومما أخفاه أهل الكتاب رجم الزاني المحصن. وقد خرَّج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه قال: (من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب قوله: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ}، فكان الرجم مما أخفوه)[1]، ومما أخفوه صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وبشارة عيسى عليه السلام به، وقصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة[2].

الوصف الثاني: العفو عن كثير مما أخفوه

قيل المراد بالعفو: إما أن يكون عن الأمور التي أخفاها أهل الكتاب فلا يذكرها، أو عن الذين أخفوها فلا يؤاخذهم بجرمهم[3]، والذي عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكره هو الذي لم تكن ثمة حاجة إلى تبيينه، وقد أشار الرازي –رحمه الله– إلى الحكمة من الإخبار به مع أنه عفى عنه، وهي بيان علمه به، ليكون ذلك علماً من أعلام نبوته[4].

الآية الثانية: قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٩].

وهذه الآية كالآية السابقة في تخصيص الخطاب بأهل الكتاب، ونسبة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، وفيها –إضافة إلى ما سبق– إضافتان مهمتان:

الأولى: بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بعد انقطاع من الرسل. جاء عن قتادة رحمه الله أنه بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمس مائة وستون سنة، وقيل: ستمائة سنة[5] وقال ابن كثير أن المشهور الرواية الثانية[6]. ولم يكن بين موسى وعيسى عليهما السلام نبي، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بابن مريم، لأنا ليس بيني وبينه نبي)[7].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الحدود: (٤/٤٠٠)، وقال صحيح الإسناد.

(٢) ينظر: جامع البيان: (١٠/١٤٠)، الجامع لأحكام القرآن: (٦/١١٨)، أنوار التنزيل:(٢/٣٠٧).

(٣) أنوار التنزيل:(٢/٣٠٧).

(٤) مفاتيح الغيب: (١١/١٥٠).

(٥) جامع البيان: (١٠/١٥٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم:(٥/١٤١).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: قول الله (واذكر في الكتاب مريم) رقم (٣٤٤٢) من حديث أبي هريرة.

وقوله: (على فترة) يدل –كما قال الرازي– على: «أن التغيير والتحريف قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب وصار ذلك عذراً ظاهراً في إعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا يا إلهنا عرفنا أنه لا بدّ من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمداً عليه الصلاة والسلام إزالة لهذا العذر»[١]. وقد وصف ابن كثير –رحمه الله– هذه الفترة بأدق عبارة، فقال: «أَنَّ اللَّه بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَتْرَة مِنْ الرُّسُل وَطُمُوس مِنْ السُّبُل وَتَغَيُّر الْأَدْيَان وَكَثْرَة عِبَادَة الْأَوْثَان وَالنِّيرَان وَالصُّلْبَان فَكَانَتْ النِّعْمَة بِهِ أَتَمَّ النِّعَم وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَمْرٌ عَمَمٌ فَإِنَّ الْفَسَاد كَانَ قَدْ عَمَّ جَمِيع الْبِلَاد وَالطُّغْيَان وَالْجَهْل قَدْ ظَهَرَ فِي سَائِر الْعِبَاد إِلَّا قَلِيلًا مِنْ الْمُتَمَسِّكِينَ بِبَقَايَا مِنْ دِين الْأَنْبِيَاء الْأَقْدَمِينَ مِنْ بَعْض أَحْبَار الْيَهُود وَعُبَّاد النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ»[٢].

وقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم حجة على الكافرين من المشركين وأهل الكتاب؛ ولذلك قال تعالى: {أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ}، أي: كي لا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، والمعنى: أنه تعالى: «يعلمهم أنه قد قطع عذرهم برسوله صلى الله عليه وسلم، وأبلغ إليهم في الحجة»[٣].

والخلاصة من الآيتين السابقتين أن الخطاب القرآني لأهل الكتاب خصهم بذكر مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، وأنه جاء ليبين لهم كثيراً مما أخفوه من كتبهم، ويعفو عن كثير، وأنه جاء بعد انقطاع من الرسل، فتمت به إقامة الحجة، وانقطاع العذر.

المطلب الثاني: دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالله تعالى:

لقد اهتم الخطاب القرآني لأهل الكتاب بدعوتهم إلى الإيمان، وقد تنوع ذلك الخطاب، ويمكن للباحث أن يرصد ثلاثة أنواع من هذا الخطاب:

الأول: خطاب الترغيب

رغَّب الخطاب القرآني لأهل الكتاب في الإيمان بالله تعالى، والتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ببيان ثمرات الإيمان وآثاره عليهم، وجاءت في هذا السياق آيتان:

الأولى: قوله تعالى: {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: ١١٠]. جاءت هذه الإشارة إلى أهل الكتاب بعد الحديث عن خيرية هذه الأمة، وقد أشار بعض المفسرين إلى أن المعنى {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} أي: لو آمن أهل الكتاب لحصلت لهم صفة الخيرية[٤]، ومما يلفت

(١) مفاتيح الغيب: (١٥٤/١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم:(١٤١/٥).

(٣) جامع البيان:(١٥٧/١٠).

(٤) مفاتيح الغيب:(١٥٨/٨).

النظر أن الآية لم تبين وجه الخيرية في إيمانهم لتذهب النفوس كل مذهب في الرجاء، والمعنى: لكان خيراً لهم من جميع الوجوه[١].

والآية توحي بأن عدم إيمانهم لم يكن بسبب جهل منهم بالدين وصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما بسبب إيثارهم العرض القليل من عرض الدنيا على الخير الباقي في الدنيا والآخرة. ولذلك ألمح بعض المفسرين إلى هذا المعنى. يقول الزمخشري –رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: «ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين»[٢].

الآية الثانية: قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [المائدة: ٦٥].

في هذه الآية ترغيب من الله تعالى لأهل الكتاب، بوعدهم بالنعيم العظيم في الدنيا والآخرة، من مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، ونيل البركات، مما ينزل من السماء من الأمطار، وما يخرج من بركات الأرض من النبات، وغيرها.

النوع الثاني: الثناء والمدح للمؤمنين من أهل الكتاب:

اشتمل الخطاب القرآني لأهل الكتاب على تخصيص طائفة منهم بالمدح والثناء، وبيان فضلهم، وما لهم من الثواب الجزيل، وهؤلاء هم المؤمنون من أهل الكتاب، وقد ذكرهم الله في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١١٣ – ١١٥].

يخبر الله تعالى بأن أهل الكتاب ليسوا سواء، فمنهم الكافر ومنهم المؤمن، ثم ذكر حال المؤمنين، وما اتصفوا به من الصفات الحميدة، وعدد منها:

١. منهم أمة قائمة، وهي الثابتة على الحق، أو العادلة، أو القائمة على كتاب الله، أو المطيعة، ورجح ابن جرير القول الأول[٣].
٢. يتلون آيات الله آناء الليل، أي: ساعاته.
٣. السجود، وهو تعبير عن الصلاة؛ لأنه ركن من أركانها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير:(١٩١/٣).
(٢) الكشاف:(١٢٩/١).
(٣) جامع البيان:(١٢٣/٧).

٤. الإيمان بالله واليوم الآخر.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦. المسارعة إلى الخيرات.

٧. الصلاح.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن ثوابهم على هذه الصفات الحميدة، وأنه لن يضيع أجرهم، يجزل لهم الثواب.

الموضع الثاني: قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩٩].

في هذه الآية ثناء على المؤمنين من أهل الكتاب بذكر صفاتهم الحميدة وأخلاقهم القويمة. وذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في النجاشي، وقيل: نزلت في عبدالله بن سلام، وقيل: نزلت في مسلمة أهل الكتاب، ورجحه ابن جرير –رحمه الله–[(١)]. ومن الصفات الواردة للمؤمنين من أهل الكتاب في هذه الآية:

١– الإيمان بالله.

٢– الإيمان بما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن.

٣– الإيمان بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل.

٤– الخضوع والتذلل لله تعالى.

٥– لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً. أي بتحريف ما أنزل الله، وكتمان ما جاء في كتبهم من البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم [(٢)].

ثم وعدهم على ذلك بالأجر من عنده سبحانه وتعالى، وهذا الأجر جاء تفصيله في قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص: ٥٤]. وثبت في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين...) الحديث، وذكر منهم: ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران[(٣)].

النوع الثالث: بيان أن أهل الكتاب يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته

أخبر الله تعالى أن من أهل الكتاب من يؤمن بعيس عليه السلام قبل موته، فقال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء: ١٥٩].

---

(١) المصدر نفسه: (٤٩٩/٧).

(٢) ينظر: روح المعاني:(١٧٤/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤)، من حديث أبي موسى الأشعري.

ورجَّح ابن جرير –رحمه الله– أن معنى الآية: أن من أهل الكتاب من يؤمن بعيسى قبل موته، أي: بعد نزوله من السماء في آخر الزمان ومكثه على الأرض ما شاء الله أن يمكث، ثم موته[١]. وعلى ذلك يكون الغرض من هذا الخطاب الرد على طائفتي أهل الكتاب: اليهود الذين زعموا قتله، والنصارى الذين ادعو أنه ابن الله. وقد أحسن ابن كثير –رحمه الله– في بيان هذا المعنى، فقال: « بَلْ الْمُرَاد بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَقْرِير وُجُود عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَبَقَاء حَيَاته فِي السَّمَاء وَأَنَّهُ سَيَنْزِلُ إِلَى الْأَرْض قَبْل يَوْم الْقِيَامَة لِيُكَذِّب هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ الْيَهُود وَالنَّصَارَى " الَّذِينَ تَبَايَنَتْ أَقْوَالهمْ فِيهِ وَتَصَادَمَتْ وَتَعَاكَسَتْ وَتَنَاقَضَتْ وَخَلَتْ عَنْ الْحَقّ فَفَرَّطَ هَؤُلَاءِ " الْيَهُود وَأَفْرَطَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى تَنَقَّصَهُ الْيَهُود بِمَا رَمَوْهُ بِهِ وَأُمّه مِنْ الْعَظَائِم وَأَطْرَاهُ النَّصَارَى بِحَيْثُ اِدَّعَوْا فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَرَفَعُوهُ فِي مُقَابَلَة أُولَئِكَ عَنْ مَقَام النُّبُوَّة إِلَى مَقَام الرُّبُوبِيَّة تَعَالَى اللَّه عَمَّا يَقُول هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ عُلُوًّا كَبِيرًا وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ لَا إِلَه إِلَّا هُوَ»[٢].

الخاتمـــــــة:

في نهاية هذا البحث توصل الباحث إلى عدد من النتائج، واقترح عدداً من التوصيات.

فمن أهم النتائج:

١. أن القرآن الكريم اعتنى عناية كبيرة بمخاطبة أهل الكتاب، تفوق عنايته بأصحاب الأديان الأخرى.
٢. تضمن الخطاب القرآني لأهل الكتاب جملة من الخصائص تميزه عن غيره من ألوان الخطاب الأخرى.
٣. أن مصطلح "أهل الكتاب" يراد به اليهود والنصارى، دون غيرهم من أهل الأديان.
٤. أن مضمون الخطاب القرآني لأهل الكتاب مثَّل وحدة موضوعية متكاملة، شملت العقيدة، والعمل والسلوك، والإيمان والدعوة، مما يجعله مصدراً ثرياً في دعوة أهل الكتاب.
٥. بين الخطاب القرآني أن الأولوية في دعوة أهل الكتاب لبيان الحق لهم، وتعريفهم به، وليست في مجادلتهم.
٦. كشف الخطاب القرآني لأهل الكتاب عن بعض أحوالهم القلبية والنفسية، مما لا سبيل إلا معرفته إلا بالوحي، مما يدل على أنه من عند الله.
٧. من الأحوال التي كشفها الخطاب القرآني: عدم محبتهم لنزول الخير –وأعظمه الوحي– على المسلمين، ومحبتهم لعودة المسلمين إلى الكفر والضلال بعد هداية الله لهم.
٨. بيان العلاقة الوثيقة بين الغلو والشرك، ويتمثل ذلك جلياً في واقع أهل الكتاب.
٩. اهتمام القرآن الكبير بالجانب العملي في التعامل مع أهل الكتاب من خلال بيان الخلق الذي يبنى عليه التعامل معهم، والتحذير من الاغترار بهم.

---

(١) جامع البيان:(٩/٣٨١).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٤/٣٤٦).

١٠. يقوم خطاب القرآن لأهل الكتاب على العلم، والعدل والإنصاف.

أهم التوصيات:

١. ضرورة قيام الباحثين بإعداد البحوث المتعلقة بأهل الكتاب انطلاقاً من هدي القرآن الكريم.

٢. أهمية صياغة خطاب مناسب لأهل الكتاب، يراعي الضوابط الشرعية، دون التنازل عن ثوابت الدين، ومحكمات الشريعة.

٣. أن تكون الأولوية في الخطاب الدعوي لأهل الكتب لبيان الحق والتعريف به، وليست في المجادلة.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

فهرس المراجـــــع:

كتب التفسير:

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الفكر – بيروت.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير). محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي–بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ.

تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون–بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

تفسير المنار. محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

جامع البيان في تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

الجامع لأحكام القرآن. أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية–القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن. عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات–بيروت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبو الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر–بيروت.

في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. عبدالحميد بن محمد بن باديس، جمع: توفيق محمد شاهين (جامعة الأزهر)، ومحمد الصالح رمضان (أستاذ بوزارة التربية الجزائرية)، تحقيق وتعليق وتخريج: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:٢، ١٤٢٤هـ.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل. أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس-بيروت، ط:٢٠٠٥م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١٤١٥هـ.

مراجع عامة:

دراسات كتابية. أ.د أحمد بن عبدالرحمن القاضي، مركز الفكر الغربي للنشر والتوزيع، ط:١، ١٤٤٣هـ.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محم زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل-القاهرة.

العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر التنير، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر-القاهرة.

مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي-القاهرة،ط:١٣٨١هـ.

المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١، ١٤١١هـ.

المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: د. عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف، ط:٢.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة-بيروت-لبنان، ط:٤، ١٤١٤هـ.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، نشر: دار الفكر، ط: ١٩٩٩.

المغني، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح الحلو، عالم الكتب، الرياض-السعودية، ط:٣، ١٤١٧هـ.

نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة. د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية-القاهرة، ط:١، ٢٠٠٤م.

النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط:١٣٩٩.

p-ISSN: 1652 – 7189 e-ISSN: 1658 – 7472 Volume No.: 11 Issue No.: 44 .. July – September 2025

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Published by Albaha University

دار المنار للطباعة 017 7223212

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs